او من اساءوا التدبير في اشغالهم. فهؤلاء يفضلون الاقامة في بلادٍ تقلّبوا فيها على سرير النعم ومضجع الذلّ على العود الى مسقط رأسهم خاسرين. وان شئت قل ان المثرين ايضاً يُلحقون المضرّة بالوطن. لان هؤلاء لا يحصلون على شيء من الثروة الّا بالتجارة الواسعة وهذه تصيّرهم مقيّدين بسلاسلها هنا. امّا الفقراء فانهم يفضّلون الاقامة في هذه الديار لأمالهم في المستقبل او خشيةً من ان يقرّعهم اهلهم على عودهم الى الوطن أصفار الايدي فقراء كمن ذي قبل

واذا رأينا البعض عائدين الى الوطن بقسم من الارباح فهؤلاء لا يمضي عليهم طويل من الزمن حتى يرجعوا الى مقرّ ارباحهم لانهم لا يلاقون في الوطن ما لاقوهُ في اميركة. فمن كان ذا حرفة مثلاً قبل مهاجرته يرى من العار عليهِ ان يعود الى معاطاتها. وان اراد الاتجار فلا ربح يكفيه. ونرى الاكثرين ان لم تقل الكلّ لا همّ لهم عند عودتهم الى الوطن الّا تشييد الابنية وشراء املاك غيرهم. فيكون وطن المهاجر بهذه الوسيلة ربح بعض الابنية الحديثة وانتقلت املاكهُ من يد الى يد اخرى بسعر اعلى ليس الّا. ولا تحصل تلك الاملاك على تحسّن لان اعتناء المهاجر لا يفوق اعتناء صاحبها الاوّل بها. ولا علم لنا بتغرّبٍ سعى في استعمال الطرق الحديثة من علمية وعملية يكون قد رآها في اسفاره كي يجدي ملكهُ الجديد تحسّناً ويزيد ثروة الوطن بتوفير ثروته

فالخلاصة ان المهاجرة نفعت بعض الافراد واضرّت بالكثيرين وبالوطن. فالوطن المسكين حُرم فريقاً عظيماً من بنيهِ ولم يستعض عنهم على الاقل باموال الرابحين. واذا عددت الوفيّات بامراض لا اثر لها في وطننا العزيز وعدم الاكتراث بترويج المحصولات والمصنوعات الوطنية وثقت ان خسارة الوطن هي اعظم ممّا يُظنّ

النفس البشرية

صنّفها المفريان العلّامة ابو الفرج المعروف بابن العبري

(تتمّة المقالة)

الفصل السادس والاربعون

في بيان انّ النفس اذا فارقت الجسد لا تفقد صفاتها المختصّة بذاتها

واعلم انّ صفات النفس المختصّة بذاتها باقيةٌ ببقاء النفس دائمةٌ بدوامها بعد مفارقتها

للجسد. وهذا نتج عمّا بيّنّا آنفاً انّ العقل والرأي والذهن والفكر والذكر والحيّ والبسيط هي قوًى طبيعية للنفس والطبيعيّ دائم بدوام ما هو خاصّ به فإذن تدوم ايضاً هذه القوى بدوام النفس. وذلك ما اردنا بيانهُ

الفصل السابع والاربعون

في بيان انّ تأثير النفس باقٍ بعد فراق الجسد

نريد بتأثير النفس فعلها وحركتها فنقول: انّ الفعل والحركة ذاتيّان للنفس واكران في كيانها فلا يُمكن اذًا ان يفارقاها البتّة. ولكن بعد فراق الجسد سيقطع عن النفس سبيلها الى الفعل والتأثير والزيادة في الفضائل والنقص من الرذائل لانّ الآلة التي كانت تفعل بها قد بطلت وتعطّلت والصانع لا يتمكّن من تتميم فعلهِ الّا بآلتهِ. وذلك على مثال الكاتب الماهر اذا عُدِمت آلتهُ تعطّلت صناعتهُ ولم تذهب معرفة الكتابة من نفسهِ. فكذلك النفس وصفاتها (١

الفصل الثامن والاربعون

في بيان انّ النفس اذا فارقت جسدها يزيد فهمها وذكرها

والدليل على ذلك انّ النفس لمّا كانت ممنوّة بعلائق الجسد ودواعيهِ وصفاتهِ كان لها قدرة على الفهم والذكر فعند انسلاخها عنهُ يلزم ان تزداد هذه القدرة عمّا كانت عليهِ اوّلًا. ولولا ذلك لكان الفعل مع العائق كمثل الفعل دونهُ وذلك مُحال. فظهر انّ النفس عند عدم العائق تدرك وتفهم وتتذكّر اكثر من ادراكها وفهمها عند وجود العائق

الفصل التاسع والاربعون

في بيان انّ النفس تدرك بجوهرها بعد فراق الجسد

والدليل على ذلك هو ان النفس بسيطة عريّة عن الهيولى المانع لها عن الادراك. فاذا كان ذلك كذلك وجب ان يصدق في حقّها انّها تدرك بجوهرها — ونقول ايضاً انّ النفس لها الادراك بالطبع وكلّ ما كان بالطبع لا يفتر عن فعلهِ الّا بتاسر يقسرهُ وقاهر يقهرهُ وذلك ممّا عرض للنفس بمراقبة الجسد وكثرة دواعيهِ واشغالهِ المانعة لها

(١ الأحرى ان يقال انّ النفس لم تعد تكتسب اجرًا او تجترح اثمًا لانّ وقت امتحانها قد انتهى يوم انفصالها من الجسد

من سلوكها وفعلها بالطبع . فاذا زالت مراقبة هذا المانع عادت الى طبعها الاعلى لانّ زوال الموانع يوجب استكمال الافعال ويوفق الأدب والغرض

الفصل الحسون

في انّ النفس تعرف ذاتها وتعرف ايضاً انّها مخلوقة

قد سبق ان صفات النفس باقية فيها بعد فراق الجسد ومن صفات النفس العلم فلا بُدّ اذن من القول انّ النفس تعرف انّ لها خالقاً وانّها مخلوقة وأنها اتّحدت بالجسد وانتقلت عنهُ كما انّها تعرف اجزاء هذا الجسد المتبدّدة في العناصر وتعرف انّها ستتّحد بهِ ثانية وتعرف الملائكة والجنّ عند خروجها من الجسد وتعرف النفوس الشبيهة بها والمكان الروحانيّ المعدّ لها وتعرف وتشعر بالقرابين والصدقات التي تتقرّب عنها . امّا الامور التي لا تعرفها فهي احوال عالمنا وجميع ما يبعد عنها بالصفة

الفصل الحادي والحسون

في الردّ على من قال انّ النفس اذا فارقت الجسد تحلُّ امّا في الحيوانات او في النباتات

نقول انّ ذلك مُحال لأنّهُ يوجب ان ليس في الكون حيوانٌ يصحّ حدُّهُ (١ وانّ الذي يأكل لحم الحيوان او يقطع الشجر ويحرق خشبهُ يصيبُ بذلك الانسان الذي حلّت نفسُهُ بهذا الحيوان او بهذا النبات ولسّاغ ايضاً ان تُسمّى نفس الانسانَ تارةً ناطقة وأخرى صاهلة او نابحة او ناهقة وحيناً نابتةً ونامية وكل ذلك لا يرضى بهِ عاقل

الفصل الثاني والحسون

في الردّ على من قال انّ النفس هبطت من عالم الملائكة

زعم البعض انّ النفس خُلقت في عالم الملائكة وانّها لسوء تدبيرها هبطت الى اجسام البشر ومنها الى الحيوان ومنها الى النبات ومنها الى الجماد . وكلُّ هذه الاقوال هَذَيان محض لأنّنا قد بيّنّا آنفاً انّ القول بوجود النفس قبل الاجسام هو باطلٌ — ثم نقول ان كان عالم الملائكة قد اوجب فساد احوال النفوس وفيهِ حصل لها هذه الخسائس حتى انها

(١ وذلك لانّ التقمّص يخلط الانواع بعضها ويجعل الحيوان الناطق بجملتهِ في البهيمة غير ناطق وبجملتهِ في النبات جسماً بلا حسّ

هبطت الى هذا العالم لتتأدّب فيه بآداب الانسان والثور والشجر والجماد ثمّ تعود الى عالمها الاوّل للزم ان يكون الشرّ في عالم الملائكة والخير في عالم البهائم وهذا اقبح الكذب والمحال. وذلك ما اردنا ان نبيّنه

الفصل الثالث والخمسون

في بيان مستقرّ النفوس بعد فراق الجسد الى حين القيامة الكلّيّة

انّ نفوس الابرار تلج الفردوس الذي خُلق لابينا آدم. وما دونهم بالصلاح يكون بالقرب منهُ على الترتيب (١. واماً نفوس الاشرار فتكون في قعر الهاوية الدهماء مع اختلاف الرتب

الفصل الرابع والخمسون

في بيان ما قيل في الكتاب الالهي انّ الانسان خُلق على صورة الله

اعلم انّ الكتاب الالهي يشير بهذا القول الى النفس الناطقة دون الجسد. والدليل على ذلك من اوجهٍ شتّى. (اوّلاً) لان النفس ليست جسماً ولا يتسلّط عليها الموت. (ثانياً) لانّ البارئ تعالى ينظر الوجود باسره نظرًا فعليًّا بالذات والنفس تنظره نظرًا انفعاليًّا بالخيال. (ثالثاً) لانّ النفس متسلّطة على المحسوسات كما انّ الله تعالى يتسلّط على كل المخلوقات والمحسوسات العنصريّة. (رابعاً) لانّ النفس تتصرّف من ذات طبعها بالفكر والتصوّر. (خامساً) لان الموجودات الجسمانية تخدم الانسان كما تخدم الخالقَ سائرُ الموجودات الروحانية. (سادساً) لانّ الانسان يتصوّر في نفسهِ صورة شيء لا وجود لهُ ثمّ يبرزهُ الى الوجود فقيه بذلك بعض الشبه بالخالق الذي اوجد البرايا بعد عدمها. (سابعاً) لانّ الله جعل الانسان مثل نائبه في الارض وهو يميّز الخير الجيّد من الشرّ الردي. (ثامناً) لانّ الله يفعل المعجزات والخوارق والمبهرات. وهكذا قد بلغ بعض الناس كالانبياء بعون الله ان يفعلوا ذلك في

---

١) قد قلنا في ترجمة ابن العبريّ انّ من جملة ضلالهِ قولهُ بان النفوس البارّة لا تدخل السماء ولا تعاين جلال الله عزّ وجلّ الّا بعد القيامة الاخيرة. يردّ هذا المزعم اعتقاد كلّ الكنائس الشرقيّة فانّ في طقوسها وصلواتها شهاداتٍ عديدة تُثبت كون نفوس الابرار في السماء مع الله. وهذا المُعتقد مبنيّ على آيات وردت في الانجيل وفي رسائل الاناء المصطفى بولس الرسول وفي رؤيا يوحنّا الحبيب (راجع يو ١٢ : ٢٦,١٧ : ٢٤ و ٢ قرنثية ٥ : ٨ ورؤيا ٣ : ٢١,٧ : ٢٩, ١٤ : ١٣)

الارض. (تاسعاً) انّ الله يتصرّف في الموجودات فهو فيهـا ولم يُدرَك. كذلك النفس تفعل الافاعيـل وتتصرّف التصرّفات في جسدها وهي لم تُدرَك. (عاشراً) لانّ الله الكلمة كان مزمعاً ان يتجسّد ويتّخذ نفساً بشريّة فلذلك سمّاها صورتَهُ. (اخيراً) لانّ النفس البشريّة ذات حياة ونُطق كما ان هذه الصفات هي ذاتيّة في البارئ تعالى. ولذلك قيل انّ الانسان يجب عليه ان يتشبّه بالله تعالى بالجرد والقداسة والعدل والرحمة والرأفـة واللطف قياساً بقول السيّد المسيح: كونوا رحماء وكاملين مثل ابيكم السماويّ الذي يُشرق شمسهُ على الاخيار والاشرار

الفصل الخامس والخمسون

في بيان المعاد البَدَني والكلام على رأي القدماء واختلافهم في حقيقته

نقول انّ البعض من النـاس انكروا معاد الابدان والبعض تكروهُ. والفريق الذي انكتهُ يختلفون في صور الابدان واشكالها واعضائها الظاهرة والباطنـة والمختصّة بالادراك والذكورة والانوثة والالوان والملابس والمآكل والشهوة والغضب والأعراض كالاطاقة والكثافة واشباه ذلك. امّا الفريق الذي نفى ذلك فعلّلوا جحودهم بثلاثة اسباب: السبب الأوّل احتجّ به الذين اعتقدوا بآلهة كثيرة فقالوا انّهم لا يتّفقون على اعادة الابدان. والسبب الثاني انّ البدن لم يُخلق لاجل ذاته بل هو آلة للنفس. والسبب الثالث انّ اجزاء الجسد تتبدّد في العناصر فلا يمكن عودها الى الصورة الاولى

الفصل السادس والخمسون

في الردّ على المحتجّين بالحجج السالفة

نقول انّ بطلان زعم الذين قالوا بآلهة كثيرة لا يتّفقون على اعادة الابدان يظهر من سوء معتقدهم بالاله. فانّ الله واحد صَمَد لا اله غيرهُ. ولو كان الهان وجب ان يشتركا بالوجوب والخلق والقدرة والسلطان وان يختلفا بالعدد والالوهيّة وان يكون كلاهما مركّب وكل ذلك مُحال

امّا الذين زعموا ان الجسد خُلق آلةً للنفس لا تحتاج اليه فقولهم فاسد ولو كان الجسد كما يقولون لمّا دخل في حدّ الانسان واجتمع منهُ ومن النفس ماهيـة واحدة ونوع واحد تُعزى الى المتركّب منهما الافعال البشريّة وقد سبق انّ كليهما يكتسب كمالاً باتحادهما

وكذلك لا صحّة لقول من زعم انّهُ لا يمكن اعادة الجسد بعد تبدّد عناصره الى صورته الاولى. نعم اننا لو نسبنا الجسدَ الى ذاته لما امكن عودهُ الى هذه الصورة ولكن اذا نُسب الى خالقه فليس في هذا الامر مانع لانّ الذي انشأ الجسد من التراب في البدء هو قادر على ان يُعيده ثانياً. وان نكر الجاحدون هذه القضيّة سألناهم من اي شيء خلق الله جميع الاصول أليس من العدم فلمَ لا يجوز لهُ تعالى ان يعيد الاجساد الى حالها مع وجود اجزائها والوجود افضل من العدم. فان قالوا انّ العدم افضل من الوجود فقولهم كذب بحت. وان قالوا انّ البارئ تعالى لا يقدر على بعث الاجساد بعد ان خلقها من العدم فيكون قولهم اقبح من الكذب الاوّل. وهم يشهدون على كذبهم اذ يعترفون بان الله تعالى قادرٌ على خَلق الاشياء من لا شيء. فيظهر بذلك كذب حجّتهم — ثم نضيف الى ما سبق انّهُ من العدل والانصاف وفعل الحقّ اعادة الاجساد بحيث انّها تقبل الجُازاة والمكافأة قبالة ما فعلتهُ من الفضائل والرذائل في هذا العالم. ولولا ذلك لتساوت اجساد القديسين الاطهار باجساد الاشرار الفاجرين. وهو قول لا يرضى بهِ عاقل

الفصل السابع والخمسون

في بيان انّ الجسد الذي انحلّ واضمحل يعود هو بعينهِ وليس غيرهُ

اعلم انّ الانحلال والعود هما من باب الاضافة يلزم احدُهما الآخر. هذا وانّ العقل يشهد بان الجسد الذي احتمل الشدائد والصعوبات في عمل الصلاح والعبادات هو احقّ بالعود لينال الجُازاة قبالة عذابهِ وكذا الجسد الذي استرّ على شهواتهِ ولذّاتهِ الرديئة القبيحة التي تنكرها الشريعة المقدّسة — ونقول ايضاً انّ هذه الاجساد تعود الى صورتها الاولى وليست هي هوائية كما زعم قومٌ ولا كثيفة بحيث يمتنع عليها النفوذ في غيرها بل هي اكثف من الأولى وألطف من الثانية لأنّ ذاك العالم القدسي لطيف فيلزم لطافةُ ما يصعد اليهِ وامتناع هيولاهُ الغليظة ليصلح لمؤاخاة العالم اللطيف ومباشرة الاماكن الشريفة. ولذلك نقول ايضاً انّهُ يتجرّد من كل الاعراض التي تشينهُ كالامراض والعيوب والشهوات وما شاكلها لان كل ذلك لا يليق بالعالم السماويّ

الفصل الثامن والخمسون

في بيان انّ رجوع الجسد يكون باعضائهِ

اعني ان الجسد يكون تامّ القامة برأسهِ وعينيهِ وأذنيهِ وانفهِ وفمهِ وصدرهِ ويديهِ

ورجليه . ويشهد بذلك انّ هذه الاعضاء بأسرها شاركت النفس الناطقة في سائر افعالها . وزد على ذلك انّ بها تتمّ زينة الجسد . وكذا قُلْ عن الدماغ والقلب والرئة والكبد والاحماء وما اشبه ذلك . واذا كان الامر بهذه الصفة فيلزم ايضاً ان تعود الذكور والاناث بصورتها الحقيقية وذلك لأنهُ من المُحال ان لا يُفرّق بين النساء والرجال وكلا الفريقين خلقة الله

الفصل التاسع والخمسون

في بيان انّ كافة الاجساد تعود بتمام القوّة وكمال الصورة

الدليل على ذلك انّ القيامة تعيد للاجساد ما سُلِبَتْهُ بخطيئة ابوينا الاوّلين لمّا تجاوزا الاوامر الالهية . وكان آدم وحوّاء قد خُلقا كاملي الصورة والطباع والأشكال . والمرجّح ان الله خلقهما بكمال السنّ وعمرُهما ثلاثون سنة فتقوم الاجساد كذلك في تمام قوّتها — ولنا دليل آخر على ذلك وهو انّ السيّد المسيح الخلّص لما اراد تجديد الصورة الانسانية بالصبغة الاردنيّة اتى الى يوحنّا ولهُ من العمر الزمني ثلاثون سنة . ونحن نعلم انّ المعاد عندنا هو عودنا الى الصورة الآدمية القديمة يخوّلنا كيانَنا الاوّل قبل ان تدخل عليهِ العوارض

الفصل الستّون

في بيان انّ الجسد عند رجوعهِ الثاني يكون متّصفاً بصفات الارواح

والدليل على ذلك انّ الجسد يتجرّد عن سائر العوارض التي كان موجوداً بها في هذا العالم . وعند زوال هذه العوائق تبرز منهُ افعال كاملة فيخرق الاجسام الكثيفة ويطفو على المياه ويسلك بالفضاء لانّ الانتقال الميولانيّة والاعمال الجسمانية تبطل فيه . ونقول ايضاً انّ النفس بعد القيامة تصير جلباباً للبدن ويشرق شعاعُ نورها الذاتيّ على سائر حواسّها الظاهرة والباطنة فيستنير جميعُهُ بنورها المُشرق عليهِ ويصير المرء كلُّهُ بمنزلة المدرك لجميع ما في الوجود على النظام الموجود . ولذلك لا يحتاج الانسانُ الى الالفاظ المجسّمة والكلمات المستعملة بالحروف وآلات الصوت كقصبة الرئة والحنجرة والحلق والشفتين وغير ذلك . وانّما يكون الخطاب روحانيًّا لانّ الكلّ جليّ للكلّ والجسد غنيٌّ عن الخطاب والجواب . وكذلك يمتنع في حقّ الجسد وجود الشهوة والغضب والخيال والضمّة والبغض والمدارة والكبرياء كما انّهُ يمتنع عنهُ الزيادة والنقصان والكثافة والثقل والطول والقصر والمرض والتقطيع والانحلال والسمن والجوع والشبع . والسير والتعب والاكل والشرب والوقاع والتناسل . وانّما الدواعي التي تعظم عندهُ نهي الرأي والذهن والنطق والذكر . وتبطل

فعل اليدين والرجلين. وكذلك لا ينمو الشعر والاظفار وتبطل المآكل والمشروبات الجسمانية والملذات البدنية. وانما الملذات كلها تكون روحانية. وكذا الملابس لان النفس بلطف نورها وجمال صورتها تكسو بدنها بالبهاء الدائم والكمال المزيد

الفصل الحادي والستون

في بيان ان العالم المزمع المذكور بين اهل العلم انما هو عالم الافلاك (١)

نقول انّ الله تعالى اتقن صُنع عالم الافلاك وابدع صورة جوهره في غاية الكمال والجمال فلا يليق بان يقال انّ البارئ تعالى يبيد هذا العالم ويخلق غيره لانّ الله عزّ وجلّ لا يعدم شيئاً من اعماله فكم بالحري الاشياء البسيطة مثل النفس والافلاك (٢ والملائكة. وانما يُنسب سبحانهُ الى الجود والانعام فلذلك يُبدع عالم الافلاك ليرفع اليه الابرار والمؤمنين ويُبقي عالم العناصر ليُخلد فيه الخاطئين. ولكن ستبطل الحركات والتأثيرات من العالمين وسبب ذلك عدم الافتقار الى الحوادث الصادرة عن تأثيراته وقد يشهد بذلك اشعياء الماجد بقوله عن البارئ تعالى: خلق سماء جديدة وارضاً جديدة

الفصل الثاني والستون

في بيان المكان الذي تجتمع فيه الناس يوم الدين

اذا حانت الساعة التي يظهر فيها السيد المسيح على وجه البسيطة مع ملائكته الاطهار سيجتمع الناس في لحة البصر في بيت المقدس وتفترق الابرار الى جهة اليمين والاشرار الى جهة الشمال بلا حساب ولا خطاب وانما الحساب يكون للخطأة فقط ويُفرز التائبون عن الخاطئين المستمرين في آثامهم ثم يُرفع الابرارُ الى العالم العقلي ويُترك الاشرارُ في العالم السفلي ويُبسط عليهم عنصر النار. وهكذا يكون دوام النعيم وعذاب الجحيم الى ابد الابدين لا نهاية لهُ ابداً ولا غاية تمنعهُ. اما الابرار فانهم يشتركون في دوام البقاء بلا فناء وفي المعرفة الكاملة والعلم التامّ بالثالوث المقدس فيكون ذلك للابرار لذّتهم وتلك للاشرار آفتهم. ولله الحمد دوماً وبدءاً آمين. انتهى كتاب النفس لابي الفرج

---

١) انهُ لأمرٌ ثابت انّ الله اعدّ للابرار منزلاً يتجلّى بهِ لهم ويتمّم بالافراح السرمديّة ولكن لا يتّفق اللاهوتيّون في تعيين هذا المكان أهو فلك من الافلاك او منزل آخر يخلقهُ الله فكل ذلك من الامور المجهولة. وما قالهُ ابن العبري في هذا الباب محمول على بعض التراءم التي ذهب اليها قومٌ من الاقدمين ٢) قد وهم ابن العبري بقولهِ ان الافلاك بسيطة كالنفوس والملائكة وقولهُ هذا من جملة الاراء القديمة التي ثبت اليوم فسادها